مجلة الحوار الفكري ISSN: 1112-5144
مجلد: 20 عدد: 01 السنة 2026 EISSN2600-6332

إمارة إدوعيش قبل الاحتلال الفرنسي(دراسة في تاريخ تحولاتها الكبرى)

The Emirate of Idawʿish before the French Occupation

A Study of Its Major Historical Transformations

د. محمد محمود أحمد أك، باحث في التاريخ الموريتاني المعاصر، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية –نواكشوط، موريتانيا

تاريخ الارسال: 2026/02/13 تاريخ القبول: 2026/04/02 تاريخ النشر: 2026/06/04

الملخص:

لقد بلغت إمارة إدوعيش تألقها السياسي واتساع نفوذها الجغرافي بفعل بسالة أمرائها و صرامتهم، حيث تميزوا بالشجاعة في الحرب ويعود لهم الفضل في بعث سلطة أحفاد المرابطين من جديد، وكانت الفترة التي نشأ فيها أسلافهم المرابطون فترة جهاد وفتح كانوا قادة البلاد بينما الفترة التي نشأ فيها الأحفاد كانت فترة فوضى وسلب ومع ذلك استطاعوا إنشاء إمارة في الظروف العصيبة.

الكلمات المفتاحية : الإمارة – إدوعيش – تكانت – الاحتلال.

Abstract

The Emirate of Idawish reached its political zenith and expanded its geographical influence as a result of the valor and firmness of its emirs. They were distinguished by their courage in warfare and are credited with reviving the authority of the descendants of the Almoravids, a term referring to a Mauritanian socio-historical lineage. Whereas the period during which their Almoravid ancestors emerged was one of jihad and territorial expansion—during which they led the region—the era in which the descendants arose was marked by disorder and plunder. Nevertheless, they succeeded in establishing an emirate under exceptionally harsh conditions.

Keywords: Emirate – Idawish – Tagant – Occupation.

مقدمة

تعتبر إمارة إدوعيش من أهم الإمارات التي قامت في موريتانيا، بعد دولة المرابطين، ويرجع تاريخ تأسيسها إلى النصف الثاني من القرن 18م وهي الإمارة غير الحسانية (المتمغفرة) الوحيدة التي عرفتها البلاد الموريتانية التي اتخذت منطقة تكانت مركزا لها ، ويرجع النسابون المجموعة المكونة للإمارة إلى أصول صنهاجية.

وقد عرفت هذه السلطة السياسية الوليدة الكثير من مظاهر القوة والوحدة، مما مكنها من أن تكسر تحالف المغافرة في حصار لحنيكات، وأن تشكل استثناء من مسلمة انتصارات بني حسان في ملتقى القرنين السابع عشر والثامن عشر.

تأتي أهمية هذا الموضوع من كونه يقدم لنا معلومات مهمة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية لهذه المنطقة في العصور الحديثة، وكيف تمكن تحالف قبلي من إقامة سلطة سياسية كان لها شأن عظيم في إقامة بنية سياسية واقتصادية امتدت لفترة غير قصيرة في جزء من موريتانيا الحالية.

وسنتناول الموضوع في مقدمة وخاتمة وثلاثة محاور.

المحور الأول: المهاد التاريخي

المحور الثاني: البنية السياسية للإمارة

المحور الثالث: البنية الاقتصادية للإمارة

المحور الأول: المهاد التاريخي

تأسست إمارة تكانت أو إمارة إدوعيش[1] (نسبة للقبيلة) ابتداء من النصف الثاني من القرن 18م وهي الإمارة غير الحسانية (المتمغفرة) الوحيدة التي عرفتها البلاد الموريتانية التي اتخذت منطقة تكانت مركزا لها ، ويرجع النسابون المجموعة المكونة للإمارة إلى أصول صنهاجية (لمتونه) ولهذا تعتبر إدوعيش ـ أحفاد المرابطين ـ المجموعة الغير حسانية التي تمكنت من تأسيس إمارة غير مغفرية على النمط الحساني .

[1] . تنسب هذه القبيلة إدوعيش إلى لمتونة عن طريق يحي بن عمر اللمتوني وأمهات قبائلهم : أهل محمد بن خونة (بيت الرئاسة) والأنباط ويقال لهم أزناكة البيض ثم أولاد انتوفة وتقدة وسارة وغيرهم انظر : الشيخ سيديا باب بن الشيخ سيديا، إمارتا إدوعيش ، ومشظوف ، تحقيق : إزيد بيه بن محمد محمود ، والمختار بن حامد الجزء الرابع إدوعيش في جوانب متعددة من الكتاب.

وإذا كانت تسميات البراكنة واترارزة وأهل يحي بن عثمان مشتقة من أجداد تلك المجموعات السكانية فإن أصل تسمية إدوعيش يثير بعض الإشكال ، فالإشارة الوحيدة التي عثر عليها بهذا الخصوص نقلها ألبير لريش (Albert Leriche) عن المختار بن حامد ويشير إلى أن اسمهم صنهاجي هو (ذويدر) وبإضافة أداة النسبة الصنهاجية (إيدالي يعش) وقلب ياء المضارعة إلى واو نحصل على إدوعيش وهكذا فربما تكون التسمية تركيب من العربية والصنهاجية ، وهو ما يتناسب مع طبيعة المجموعات البشرية المنحدرة منها من أصول صنهاجية والتي شكلت إمارة (متمغفرة) على المنوال الحساني[1] .

وفيما يخص أهم مؤسسيها تضاربت الروايات حولهم والمعلومات التي وردت عنهم يكتسيها نوع من عدم التفصيل والدقة وقد يكون السبب في ذلك أن هذه المراجع لم يكن هدفها الأساسي الحديث عن هذه الإمارة في مراحل تأسيسها وتطورها ، وقد يكون السبب شح المعلومات إلا أن غالبية تلك المراجع تذكر أهم مؤسسي إمارة تكانت وتخص بالذكر أسرة أهل محمد خونا من ادوعيش التي لم تحظ بدراسة شاملة عن أصلها وفصلها أي هذه المراجع، في حين تتفق أنها هي التي انحدر منها الأمراء المؤسسون لهذه الإمارة والذين كانت لهم أدوار قيادية في التاريخ السياسي والعسكري لها.

فالشيخ بابه بن الشيخ سيديا يشير إلى أن مؤسس إمارة تكانت ينسب إلى أديكة بن أعمر بن أنمز بن عثمان حفيد يحي بن عمر اللمتوني ، وهي بذلك تكون من بقايا دولة المرابطين ، كما أشار إليها سيدي بن الزين العلوي في كتابه " النسب في أخبار الزوايا والعرب " أنهم من لمتونة قائلا: " أنساب قبائل إدوعيش .. أما نسبهم فالصحيح منه أنهم لمتونة ، ولمتونة من صميم حمير كما ذكر ذلك سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم في " روضة النسرين " قال شاعرهم :

لمتونة بطن خرجت من حمير تباعدت أنسابهم عن مضر

وقال آخر :

قوم لهم شرف العلا من حمير وإذا انتموا للمتونة فهم هم

لما حووا علياء كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا[2].

[1] . محمدو بن محمذن ،المجتمع البيظاني في القرن التاسع عشر معهد الدراسات الإفريقية ، الرباط 2001 ص 272

[2] . سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم ، الفقيه الفذ والعالم الشهير ، ولد بمدينة تجكجة بوسط موريتانيا ونشأ في وسط علمي وتعليم وإمامة ، وقد خرج من موطنه في طلب العلم وتأدية فريضة الحج وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وقد عاد بعد اثنتي عشر سنة يحمل التقليد العلمي الفاسي وإليه نسب وعنه نشر أقبل عليه الناس عند عودته إلى مسقط رأسه ونال الحظوة عند رؤساء عصره ولاسيما إمارة إدوعيش حيث كان المستشار المطاع لأميرها محمد بن امحمد شين ، فصارت مدة تعلمه وخروجه اثنتي عشر عاما مكث في سفره سبع سنين إذ عاد من الحجاز سنة 1190هـ وقد مر بالمغرب واتصل بالسلطان المغربي مولاي محمد بن مولاي عبد الله بن مولاي

ومع ذلك تضاربت الروايات حول قصة مؤسسها فالمختار بن حامد يذكر أن بنيوك بن أوديكة وهو من ذرية يحي بن عمر كما أسلفنا قد استودعه أبوه عند أسرة من أدوعلي شنقيط مخافة أن تصل إليه أيدي بني حسان المتحاربين حينئذ مع إدوعيش فأخذوا يسمون ضيفهم الجديد (أخانا) وقد يكون السبب في ذلك أن أبناء العائلة التي استضافت بنيوك و يجهلون اسمه الحقيقي الذي بقي سرا ، وربما يكون سببا لما شرحه لهم والد الابن فلم يطلق عليه اسمه حفاظا عليه[1].

ومن هذا اللقب اشتقت تسمية والد محمد خونا مؤسس الإمارة وواصل أبناؤه وحفدته ـ بعده ـ توطيد هذه الإمارة ، أمثال بكار بن أعمر بن امحمد بن خونا وابنه محمد شين.

تميزوا كلهم بالشجاعة في الحرب ويعود لهم الفضل في بعث سلطة أحفاد المرابطين من جديد ، وكانت الفترة التي نشأ فيها أسلافهم المرابطون فترة جهاد وفتح كانوا قادة البلاد بينما الفترة التي نشأ فيها الأحفاد كانت فترة فوضى وسلب ومع ذلك استطاعوا إنشاء إمارة في الظروف المعقدة العصيبة[2].

بخصوص هذه الرواية نقل محمد المختار ولد السعد عن عبد الودود ولد الشيخ الذي أوضح أنها قد تكون مجرد خرافة إلا أنها تمثل الوهن الذي أصاب صنهاجة الصحراء في وجه الهيمنة الحسانية في ملتقى القرنين 17 ـ 18 وانفرد إدوعيش بقيادة محمد خونه القرن 12 هـ 18م ـ إلى أن يقول :

(إن الصراعات بين إدوعيش وبني حسان لم تكتس طابع تعارض مفتوح بين أزناكة)[3] (صنهاجة) من جهة و العرب من جهة أخرى[4] مبررا ذلك بالمعطيات التاريخية في هذا المجال وحسب ولد السعد فبداية الصراعات التي اشترك فيها إدوعيش خلال القرنين 17 ـ 18م كانوا فيها متحالفين مع طرف حساني ضد آخر بحكم روابط الجوار والمصاهرة التي تربطهم به ، وخاصة أولاد امبارك[5] الذين ارتبطوا معهم فترة بنوع من الولاء والتبعية السياسية ، والدليل على مشاركتهم إلى جانبهم في معركة

إسماعيل وحينها أهداه السكان فرسا أبدلها بكتاب يسمى الحطاب " شرح لمختصر خليل بن إسحاق في الفقه المالكي) فلما سئل ما فعلت بالفرس؟ قال : جعلتها حطابا من شدة حبه الكتب ، وقد أخذ العلم من بعض الشيوخ الأفاضل منهم المختار بن بونه الجكني .

[1] . المختار بن حامد موسوعة حياة موريتانيا الجزء السياسي دار الغرب الإسلامي 2000م ص : 185

[2] . الطالب اخيار بن الشيخ مامنا الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي ج2 منشوات الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتنمية ط 2 مطبعة المعارف الجديدة الرباط 2011م ص : 58

[3] . آ زناكة : الظاهر أنها تصحيف لكلمة صنهاجة القبيلة المشهورة والتي تفرع منها الكثير من القبائل الموريتانية وقد أخذت لفظ آزناكة في اللهجة الحسانية مدلولا اجتماعيا قيميا ، فصارت تطلق على القبائل الغارمة سواء كانت من أصل صنهاجة أو من أصل حساني.

[4] . محمد المختار بن السعد الإمارات والنظام الأميري ، مرجع سبق ذكره ص : 133

[5] .. أولاد امبارك : وهم أحد فروع القبائل المغرفية وينسبون إلى امبارك بن محمد عثمان بن مغفر بن أدي بن حسان وقد أسسوا حسب رأي الباحثين إمارة لا تختلف عن الإمارات البيضانية ، بينما اكتفى البعض الآخر بالقول أنها كانت تشكل مشيخات فقط.

(أم أعبانة[1]) 1108هـ 1695م خاضوها ضد ابناء عمومتهم من أولاد ادليم[2] كما شارك إدوعيش بقيادة أعمر بن امحمد خونا في وقعة كساري[3] سنة 1124 هـ . 1712م إلى جانب أولاد امبارك ضد أولاد بوفايد[4] بسبب قتلهم ديدة بن هنون لعبيدي .

وليس من المستحيل أن تكون علاقات المصاهرة ذات أثر في وقوف إدوعيش إلى جانب أولاد امبارك ذلك أن هنون لعبيدي زعيم أولاد امبارك كان قد تزوج من بنتين من بنات خونه زعيم إدوعيش ذلك التحالف الذي نتج عنه اضمحلال نفوذهم في الحوض لصالح أولاد امبارك الذين أخذت تجذبهم المناطق الرعوية والزراعية فضلا عن ملتقى طرق تبادل الذهب والملح ، إضافة إلى هشاشة كيانهم بسبب الحروب الداخلية والخارجية[5] وهو أمر أبعدهم عن تكانت ، ومع انتقال مركز الثقل السياسي نحو الحوض بدأت الرغبة لدى إدوعيش في الانعتاق من هيمنتهم التي عانوا منها فترة طويلة من الزمن.

وأثناء محاولة قادتهم تحقيق ذلك الأمر بانفصال إدوعيش عن بني حسان فتح باب الصراع مع أولاد امبارك على حد تعبير سيدي بن الزين العلوي حيث يقول "... فلما سأل محمد الذي هو جد مشاهير إدوعيش الذين يقال لهم أهل امحمد خونه وهم اليوم في المائة الثانية قام وحاز السيادة على جميع قبيلته وأراد انفصالهم عن بني حسان فبينما هم على تلك الحالة قام يوما رجل في بني سدوم النبط بن أديكة بن أكرينيك بن أعمر بن امحمد المذكور ولا أدري ما سبب ذلك أهو رجل من أولاد امبارك بينهما شيء وقتله ويسمى ذلك الرجل بيبش وهو أول قتيل بين إدوعيش والمغافرة[6] فلما مات ذلك الرجل قام مصلحو إدوعيش بطلب العافية وإصلاح البين وقال لهم ادفعوا لنا أربع ديات وأربع خيول في دم صاحبنا، فقبلت إدوعيش ذلك،لكن أولا امبارك عينوا فرسا تسمى انجيم عند أحد من إدوعيش يحكى أنه فخذ منهم يسمى (إيبيلين[7]) يحكى أنه يقال له قاموس[8] فامتنع ذلك الرجل من دفع الفرس .." [9].

[1] . أم اعبانة : اسم جبل شرقي إيجيل وقعت به معركة انتصر فيها أولاد دليم على المغافرة سميت بذلك الاسم لكثرة القتلا ساروا على وجه الأرض كالعباءة .

[2] . قبيلة مشهورة من قبائل بني حسان وتقطن في شمال موريتانيا وبعضهم في الصحراء ولهم تاريخ حافل مذكور هم : أولاد امعرف ، وتقال لأولاد اللب وأولاد سالم ، والكرع ، وأولاد أرميثة تقال لأولاد المولاة وأولاد بوهند.

[3] .كساري : هو موضع بالخط قرب مدينة تنبدغة بمنطقة الحوض وقعت به حرب بين أولاد بوفايد وأولاد امبارك

[4] . أولاد بوفايد : مجموعة من أولاد امبارك تنتمي إلى اعلي بن داوود بن محمد بن عثمان بن مغفر بن أدي بن حسان .

[5] . فاطمة عبد الكريم، دور إمارة إدوعيش في تنظيم العلاقات التجارية لمنطقة حوض النهر (ق 18 . 19) بحث لنيل درجة الماستر في التاريخ جامعة نواكشوط ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2012 . 2013 ص : 9

[6] . المغافرة : ذرية مغفر بن أدي بن حسان بن عاقل بن معقل الجد الجامع لقبائل معقل العربية

[7] . من قبائل إدوعيش ولهم دور بارز في بعض المعارك .

[8] . قاموس إدوعيش : أي أنه قل إدوعيش لحكمته وذكائه فكأنه بمثابة كتاب قاموس الذي يحوي مادة لغوية واسعة وهو مضرب المثل في الصحراء لندرته وأهميته .

[9] . سيدي بن الزين العلوي كتاب النسب في أخبار الزوايا والعرب مرجع سابق ص : 117

نفهم من خلال هذه الرواية أن سبب الصراع هو عدم دفع إدوعيش المغرم الذي فرضه عليهم أولاد امبارك ابتداء من القرن 18 تحت قيادة بكار بن أعمر بن امحمد خونه (1775. 1761) وابنه محمد شين (ت 1202هـ 1788م) اصطدمت إدوعيش بمقاومة عنيفة مع أولاد امبارك وخاضوا عدة معارك منها على سبيل المثال لا الحصر معركة " دركل "[1] (1192هـ ـ 1739م) و"إكيكه"[2](1171هـ 1758)، لكن تلك المحاولات كلها باءت بالفشل حسب قول ولد السعد إلا في عهد محمد شين (1761. 1788) الذي شكل انتصاره في " احنيكات بغداده"[3] (1195هـ 1778م) على تحالف مغفري واسع نقطة تحول نوعي هام في مجال ترسيخ سلطة إدوعيش محليا واعتراف خصومهم بها خارجيا وشهدت إدوعيش وحدتهم في عهده[4]، وأعلن قيام الإمارة ثم بدأ في تنظيمها ورسم حدودها .

المحور الثاني: البنية السياسية للإمارة

1 ـ الأمراء المؤسسون :

انحصرت الإمارة في عقب محمد بن خونا بعد أن وضع الحجر الأساسي لها وواصل أبناؤه وحفدته ـ بعده ـ توطيد هذه الإمارة، وقد انقسمت فيما بعد وكان من أبرز أمرائها قبل الانقسام أعمر الذي كان قمة في الشجاعة تولاها بعد وفاة أبيه محمد بن خونا .

وكان أعمر قمة في الشجاعة وبعد النظر ولد سنة (1080هـ 1669م) وكان على رأس إدوعيش " يوم كساري " سنة(1124هـ 1712م) إلى جانب أولاد امبارك ضد أولاد بوفايد وقد أنجب ولدين هما : بكار واعلي بابي ، تولى بعد أعمر أخوه أعلي ثم انتزعها منه بن أخيه بكار بن أعمر ، وكان فارسا شجاعا يعد من أعظم قادة إدوعيش مكث في الإمارة مدة طويلة تقرب من ثلاثين سنة .

وفي عهده وقعت أيام منها " دركل " بين إدوعيش وأولاد امبارك (115هـ 1739 م) ووقعت أيام أخرى بينهم مع لبراكنة كان آخرها سنة (1173هـ 1759م) قتل فيه ابن الأمير وهو الشنظورة ابن بكار بن اعمر، توفي بكار بن أعمر سنة

[1] . موضع بتكانت يبعد عن إكفان الواقع على طريق المجرية . تحكجة 10 كلم

[2] . إكيكة : موضع شمال القبة وشرق تحكجة وقعت به وقعت بين إدوعيش وأولاد امبارك .

[3] ـاحنيكات بغداد : موضع شرق تحكجة على بعد 12 كلم حاصر به المغافرة إدوعيش وكان ذلك الحصار في فترة الأمير بكار بن عمر بن خونا ، ويعتبر هذا الحصار لحظة تاريخية من أهم اللحظات التاريخية في موريتانيا فقد اجتمعت اربع قبائل مغفررية لتخضع قبيلة إدوعيش وهي أولاد امبارك وأولاد الناصر وأولاد يحي بن عثمان والبراكنة، وفي أيامه تم انتصار إدوعيش على المغافرة وتحرروا من الإتاوة التي كانوا يؤدونها إلى أولاد امبارك .

[4] . محمد المختار بن السعد الإمارات والنظام الأميري مرج سبق ذكره ص : 135

1175هـ 1761) وعقب عدة أولاد منهم عثمان وهو أكبرهم يليه امحمد شين وآكجيل والمختار وهم أشقاء أمهم العالية بنت بكار بن محمد بن خونه، وأحمد دية وسيد أحمد ومحمد وهم أشقاء أمهم أم الخير بنت هنون ، وتولى بعد بكار ابنه محمد شين الملقب الذي[1] وكان فارسا شجاعا عرف بحسن التدبير وبعد النظر .

2 ـ مرحلة الازدهار:

بلغت إمارة إدوعيش أوجها وتألقها السياسي واتساع نفوذها الجغرافي في فترة أميرها امحمد شين (1145هـ 1202هـ . 1733. 1788م) فقد عرف بنفوذ الكلمة وشدة الصولة وحسن التدبير حيث يقول فيه الشيخ سيديا بابه بن الشيخ سيديا في كتابه إمارتا إدوعيش ومشظوف : " إنه يكفيه أن قرر أن يقول : لا للغرامة التي كان يدفعها إدوعيش لبعض حسان، وحاصره بنو حسان ، وكان حصارا قويا وطويلا لدرجة أن الإبل أكلت شملها من شدة الجدب " [2]، وهو الحصار المشهور باحنيكات بغداد ، المنطقة التي نزل فيها إدوعيش يصف سيدي ولد الزين العلوي ذلك الحصار قائلا : " .. تلاحق العدو بالوادي فوقهم تحاصروا وهذا حصار الاحنيكات وهو أن إدوعيش تلاقت منهم اربع وعشرون قبيلة ومنعت مائة وعشرون ليلة في الحصار حتى الإبل تأكل أذنابها فما مر يوم إلا وفيه قتال ولم تبق شاة ولا بقرة ولا حمار لطول الحصار ..." [3]،وهنا نلاحظ اتفاق المراجع حول هذا الحصار الذي كان له أثر بالغ على مستوى إمارة إدوعيش جسده انتصارها كما أسلفنا رغم ما شهدته من خسائر .

ومع ذلك استطاع امحمد شين أن ينتصر على كل فئة على حدة حتى أجلاهم من المنطقة كل فئة على حدة من المغافرة من القبائل القريبة منه (أولاد الناصر[4] وأولاد طلحة وأولاد علوش وأولاد يحي بن عثمان) وينتصرون عليها كما واصل أولاد امبارك حربهم فجرت بينهم أيام كثيرة (زادت على الستين) اضطر أولاد امبارك إلى ترك تكانت لإدوعيش فكان من هذه الأيام " يوم ليلة البهرة " (1192هـ 1778م) ويوم تغادة سنة 1195هـ 1781م) ويوم " أوليك " سنة 1200هـ 1786م) وكان محمد شين قد تمكن من استقطاب أولاد طلحة والتحالف معهم فشاركوا في هذا اليوم إلى جانب إدوعيش

[1] . الطالب اخيار بن الشيخ مامنا الشيخ ماء العينين علماء وأمراء ج2 ط (2011م) مرجع سبق ذكره ص : 58

[2] . الشيخ سيديا بابه بن الشيخ سيديا إمارتا إدوعيش ومشظوف مرجع سابق ص : 64

[3] . سيدي ولد الزين العلوي كتاب النسب في أخبار الزوايا والعرب ص : 128

[4] . أولاد الناصر : قبيلة من قبائل المغافرة تنتسب إلى ناصر بن مغفر بن أدي بن حسان وهم مشهورون وخاصة في منطقة الحوض ومنطقة تكانت حيث كان لهم حضور قوي في التاريخ السياسي والاجتماعي لتلك المناطق وللتوسع في تفريعات وبطون أولاد الناصر انظر : صالح بن عبد الوهاب الناصري الحسوة البيسانية في مواضع عدة من الكتاب.

وأمر أمير أولاد امبارك بصرف النظر نهائيا عن التوطن بتكانت، فتمكن من توطيد سلطانه بها ومد هيمنته باتجاه الرقيبة ولعصابة .

وفكر محمد شين فيما يعزز به فابتدع نظاما جديدا رفع فيه المغرم عن الزوايا كما خفف فيه مغارم اللحمة، ورفع عن من حارب من اللحمة المغرم، فتوافدت القبائل من شتى الجهات على الإمارة طلبا للصلح ونشأ حول الأمير حزام قبلي مختلف الأصول عرف بسارة محمد شين[1] .

كما عزز هذا النصر من سيطرة إدوعيش على تكانت فتزودوا بالخيل العتاق والأسلحة التي استخلصوها من أيدي أعدائهم (إذ لا توفر تكانت بموقعها المتوسط في البلاد إمكانية في التزود من الخارج) ضف إلى ذلك اتساع القبيلة بدخول الكثير من الغارمين أخذوا اسم سارة تحت رئاسة محمد شين ، وسيلعب هذا الاحتياط البشري مستقبلا دورا رائدا في القوة الصاعدة للقبيلة التي ستضم إليها كذلك مجموعات مرابطية وأخرى حربية كانت شبه مستقلة.

وفي هذه الفترة نذكر انضمام أولاد طلحة قبيلة من أصل داودي إلى إدوعيش، ونزل كذلك في جوارهم لمرابط سيدي محمود (ت 1786م) الذي سيترك بصمات نفوذه من الآن فصاعدا على تاريخ القبيلة .

كان محمد شين رجلا ذا شهرة غير أنه لم يتسم باسم أمير تكانت، إلا أن انتصاره على المغافرة يكرس سيادة إدوعيش على تكانت ويشكل بنية جديدة لسلطة شبيهة بتلك التي توجد لدى جيرانهم من أمراء الترارزة والبراكنة وأولاد يحي بن عثمان ، غير أن نفوذ إدوعيش وقبائلها سيشهدان صراعا مريرا على السلطة بعد وفاة امحمد شين بقليل سنة (1202 هـ 1788م)[2].

توفي الأمير امحمد شين في كرو، ودفن عند الطلحاية المعروفة الآن بطلحايت محمد شين، من أبنائه : بكار والعوسي ومحمد المختار وسيدي الأمين وأعلي وبوسيف، وانقسمت إدوعيش بعد وفاته إلى طائفتين معروفتين لكل منهما أمير : طائفة بكار بن امحمد شين وسيمت بخواكة لكثرة جيشها، وطائفة عميه سيد أحمد بن بكار وأخيه محمد وتسمى مكزوزة سميت بهذا الاسم لدقة تنظيم جيشها وفاعليته[3].

[1] . الحسين محنض تاريخ موريتانيا الحديث مرجع سبق ذكره ص : 178

[2] . الشيخ سيدي محمد الملقب ولالي بن بون ، إمارة إدوعيش وأهم الأسس التاريخية للسلطة في موريتانيا قراءة جديدة لتطور إمارة تكانت من 1056 حتى 1905، بحث متريز في التاريخ، ترجمة الأستاذ محمد إبراهيم ولد الداه، جامعة نواكشوط كلية الآداب 1985 . 1986 ص : 48

[3] . الحسين بن محنض تاريخ موريتانيا الحديث ص : 179

وقد دارت بين الحلفين معارك لقي خلالها الطامحان لخلافة امحمد شين مصيرهما الأول سيد أحمد في " معركة غب " (1207 هـ 1792م) ليلقي الثاني حتفه سنة (1208هـ 1793م) في معركة " تنبوزكري"[1].

وقد خلف بعد وفاة زعماء الطرفين كل من محمد بن محمد شين على رأس بخواكة، في حين تزعم حلف الأعمام امحمد بن بكار لوقت يسير قبل أن يتخلى عن نهج قومه الحربي، وأفلح محمد بن امحمد شين هذا الانتصار في تشيت مكزوزة ، وإعادة توجيه إمارة إدوعيش تحت رايته بعد ما تخلى زعيم مكزوزة امحمد بن بكار عن القتال، ومع ذلك ظل عنصر التجزئة والانقسام ينمو منذ بعض الوقت داخل المجموعة الإدوعيشية .

مع أن الإمارة ستشهد توسيعا لنفوذها بعد تولي ابنه محمد بن امحمد شين(1208 . 1236هـ . 1794 . 1822م) قبل أن يتفاقم الصراع والانقسام .

تابع محمد الابن إنجازات والده محسنا صورة القبيلة ومضاعفا قوتها حيث توسعت في عهده حتى شملت فضلا عن تكانت الرقيبة أجزاء من آفطوط والعصابة، وكان الأمير محمد بن امحمد شين من أفضل شيوخ العرب وأعدلهم وأعظمهم ملكا وأشدهم صولة، وطد ملك أبيه وثبت أركانه، غير أن عصره شهد لأول مرة مشاكل خطيرة .

وفي سنة (1794م) تمكن محمد بن امحمد شين من استعادة وحدة إدوعيش فعرفت الإمارة نوعا من الاستقرار السياسي النسبي واتساع النفوذ، وفي هذا الإطار ربطت هذا الأمير علاقات وطيدة مع زعماء زوايا المنطقة خاصة إد وعلي، حيث استند على واحد من أبرز أقطابهم هو العلامة سيدي عبد الله الحاج إبراهيم (ت 1233هـ 1877م) الذي منحه ذلك الأمير عناية وتقديرا خاصين[2] ويحكمه في جميع أموره، حتى صار لا يقطع أمرا إلا بإذنه ، ومن أعظم ما قيل عنه بأنه قال يوما: أبسط يدك أبايعك فالدهر حروبه كثيرة ، كما عرفت الإمارة في عهده بعض الحروب مع الجيران المنافسين من أولاد امبارك في الحوض وأولاد الغويزي، وتنظيم حملة ضد اترارزة الذين كانوا حينها يعيشون صراعات على السلطة بين أعمر بن المختار الأمير ومحمد بن أعلي الكوري المطالب بعرش أبيه[3].

إضافة إلى التدخل في النزاعات الداخلية في إمارة البراكنة الداعمين لأولاد نغماش، وفي نفس الفترة ظهرت مطامع إدوعيش للحصول على منفذ للتبادل التجاري على نهر السنغال للاستفادة من تجارة تكانت الصمغية.

[1] . المختار بن حامد التاريخ السياسي مرجع سابق ص : 184

[2] . محمد المختار بن السعد الإمارات والنظام الأميري مرجع سبق ذكره ص : 136

[3] . فاطمة عبد الكريم إمارة إدوعيش مرجع سابق ص : 11

وكان محمد بن امحمد شين يهدف من وراء الحروب الكثيرة التي خاض ضد جيرانه الشرقيين، إلى إبعاد أولاد امبارك وأولاد الناصر وحلفائهم نهائيا عن التدخل في إمارتيه، بينما يعود السبب في وقعاته ضد كل من الترارزة والبراكنة إلى التدخل لدعم أولاد نغماش المناوئين لإمارة أولاد السيد في البراكنة، وامحمد بن اعلي الكوري المناوئ لإمارة أعمر بن المختار في الترارزة، واستقل ملك محمد بن امحمد شين حتى ينتجع في تيرس مخترقا آدرار ونواحيه لا يقدر أحد على التعرض له ، وبسط الأمير محمد الأمن في البلاد ونشر فيها العدل، واعتمد على علامة دهره سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، فاطمأن الناس وأمنوا ولم يعطوا ذراعا من الخنط في المداراة لأحد من أهل تكانت في حياته[1].

كما تناما في عهده كثيرا من النفوذ الروحي الذي تمتع به لمرابط سيدي محمود الحاجي الواداني ـ وابنه عبد الله من بعده ـ بين صفوف إدوعيش حتى أصبح عنصر استقطاب مواز للسلطة الأميرية وصراعاتها الانقسامية ومتصارع عليها (ولاسيما بين بخواكة ومكزوزة) مما جعله ملجأ لمجموعات عريضة من هذه القبيلة.

وكان محمد بن امحمد شين يتوجس خيفة من هذه القوة الصاعدة الوليدة من أحضان إمارته والمستقطبة للكثير من أنصاره ويعتبرها (خراب إدوعيش)[2].

وتوفي محمد بن امحمد شين حسب ما ذكر ابن اطوير الجنة يوم الثلاثاء التاسع من ربيع النبوي سنة – سة وثلاثين بعد المائتين والألف – (1236هـ 15 ديسمبر 1820م)[3] إثر انفجار شحنة البارود كانت بالقرب منه فقتلته ودفن في اصبيبيرة (بلجام تكانت) وله من الأولاد أسويد أحمد وسلمان وعبد الله وعبد الرحمن ، ولما مات انفتح على إدوعيش وسائر الإمارة باب الفتن الذي كان مقفلا به[4].

3 ـ مرحلة الأزمة :

بعد أن عرفت الإمارات البيضانية نوعا من الازدهار النسبي خلال القرن 19م، بدأت في ستينات ذلك القرن مسارها نحو الانحطاط، بغض النظر عن الصياغات التاريخية لتلك الأزمات وخصوصياتها على مستوى كل إمارة على حدة، متأثرة بمساوئ بنياتها الداخلية الهشة ، وغياب قواعد مقننة لتداول السلطة، مما ترك الباب مفتوحا على مصراعيه لصراع العصبيات الخاصة

[1] . الحسين بن محنض تاريخ موريتانيا الحديث مرجع سابق ص : 184

[2] . محمد المختار بن السعد الإمارات والنظام الأميري مرجع سبق ذكره ص : 137

[3] الطالب أحمد بن اطوير الجنة تاريخ ابن اطوير الجنة تحقيق : سيد أحمد بن أحمد سالم ، مطبعة المعارف الجديدة الرباط 1995م ص : 94

[4] . الحسين بن محنض تاريخ موريتانيا الحديث مرجع سابق ص : 185

على السلطة، الذي تمخض عنه ظاهرة الاغتيالات وما رافقها من انتشار وتفكيك، ينضاف إلى ذلك غياب القاعدة المادية الصلبة .

ومن بين العوامل المسببة للأزمة على مستوى إمارة إدوعيش، غياب قواعد انتقال السلطة إذ كان تداول السلطة في النظام الأميري البيظاني يتم بشكل وراثي تبعا لخط النسب الأبوي، فإن طرق انتقالها لم تضبط قانونيا ولم يفرغ فيها على سبيل ملء الفراغ السلطوي بحالة انعدام المستوى المادي أو المعنوي (للوريث)الشرعي، لتتأكد خطورة عدم ضبط طرق تداول السلطة، كما اتسعت قاعدة مستحقيها في كثرة القابلين للتأمر بالقوة دون طريقة محدد للاختيار بينهم، وكثرة الطامعين، يتولد عنه انتظام تحالفات جديد حول أولئك المرشحين، تتوسع وتتقلص تبعا لعوامل الولاء والتراتب الاجتماعي والسياسي ومصالح الأفراد والمجموعات المادية والمعنوية في إطار اللعبة السياسية داخل الإمارة مما قد يفك بنية الإمارة الداخلية، ويجعلها غير قادرة على مواجهة التحديات الخارجية ، فالمتتبع لمسار السلطة في إمارة إدوعيش في تكانت يلاحظ عدم وجود قواعد مقننة تتحكم في طبيعة النظام السياسي للإمارة منذ حكم محمد شين، فهذا النظام ظل محصورا في أسرة أهل أعمر ولد محمد خونا دون غيرهم من أبناء عمومتهم، الذين طالبوا بالمشاركة في تسير شؤون الإمارة[1].

مما دفع بهم إلى الدخول في حلبة الصراع، فما كاد عهد محمد شين ينقضي حتى اندلع الصراع على السلطة داخل البيت الأميري.

هذا الصراع الذي دام سبع سنوات قسم إدوعيش إلى حلفين متصارعين أحدهما " بخواكة " بقيادة بكار بن محمد شين ، والثاني " مكزوزة " بقيادة سيد أحمد بن بكار، لتتشكل بذلك الحلقة التي مزقت الإمارة ، فمع أن محمد شين قد استطاع إعادة لحمة إدوعيش الاجتماعية والسياسية، فقد برزت على السطح من جديد ظاهرة الصراع بين الأعمام وابن أخيهم على السلطة ـ التي تكاد تكون ظاهرة بنيوية في هذه الإمارة ـ حيث تزعم أسويد أحمد بن محمد شين حلفا سيدعى أبكاك وتحالف مع كنتة، في حين انتظم أعمامه المختار ويوسف واعلي في حلف عرف باسم " الشراتيت " وتحالفوا مع أهل سيد محمود[2].

ليشكل الشراتيت منذ ذلك الوقت قطب المعارضة الداعم لسلطة " أبكاك " في تكانت، وإن أملت المصالح المشتركة والحمية العصبية أحيانا حالات اتحاد عابرة ، غير أن هذه التحالفات تزيد من هشاشة البنية السياسية في الإمارة، خاصة عندما بدأت

[1] . فاطمة عبد الكريم . فاطمة عبد الكريم إمارة إدوعيش مرجع سبق ذكره ص : 60

[2] . محمد المختار بن السعد الإمارات والنظام الأميري مرجع سبق ذكره ص : 137

هذه المجموعات الزاوية (كنتة وأهل سيد محمود[1] وادوعلي ومسومة) تتوق إلى المشاركة في الحكم مستخدمة في ذلك نفوذها الروحي[2].

أ ـ الانقسام السياسي الإدوعيشي :

بوفاة محمد بن امحمد شين سنة (1821م) تجددت الصراعات الداخلية بين الأعمام وابن أخيهم بهدف الاستئثار بمنصب الأمير، غير أن الجديد في الأمر هو مشاركة بعض الشخصيات الدنية والقبائل الزاوية كما ذكرنا آنفا ، مسرح الصراع لتتطور الخلافات وتنقسم الإمارة إلى فرعين لكل منهما ترابه ونفوذه السياسي ، وبالرغم من أن أبكاك المستقرون بتكانت سيتمكنون من الحصول على السلطة الأميرية، فإن الشراتيت المتمركزين بدورهم في لعصابة سيصبحون قوة سياسية مهمة تلعب دور قطب معارض شبه دائم للبيت الأميري ، وهنا سنتحدث عن كل إمارة على حدة مع ذكر بعض أمرائها ونماذج من الأيام التي دارت بينها:

. ابكاك : الذين ظلت السلطة الأميرية ورموزها بحوزتهم في تكانت حيث تولى الإمارة اسويد أحمد بن محمد بن امحمد شين الإمارة سنة (1236ـ 1245هـ/ 1821 ـ 1829م) انقسمت في عهده إلى كنتة وأولاد الناصر وأولاد طلحة، وقد دارت بينه وأبناء عمومته الشراتيت ايام منها " يوم اندور " في أواسط ذي الحجة (1236هـ) قتل فيه من جانب الشراتيت التنواجيوي بن أعلي ، ومن أبكاك[3] سيد أحمد بن المختار بن سيد الأمين رئيس أولاد الشيخ، وأحمد امحمد بن الطالب سيدي رئيس أولاد سيد حيب الله ثم يوم " شكار " في التاسع من شعبان سنة (1237هـ 1823م) قتل فيه من جانب اشراتيت أحمد عالي بن أحمد ديدة العجيلي، ومن جانب أبكاك المختار بن محمد أعليوه الطحاوي، " يوم ادروم " في ثاني صفر سنة (1239 هـ 1823) قتل فيه عثمان بن بيات بن اعل بابي، وجرح الأمير أسويد أحمد في نفس اليوم، ووقعوا أياما مع أهل سيدي محمود المنضمون إليهم منها[4]:

[1] . أهل سيدي محمود : كونفدرالية قبلية كبيرة التأمت حول لمرابط سيدي محمود وانضم أبناءه وأحفاده جماعات كثيرة منها ما هو في الأصل من إدوالحاج ومنها ما هو من إدوعيش ، والبعض من جعافرة من أولاد داوود وغيرهم ، وكان اول من انضم إليهم مجموعة من تقدة واسواكر وهذا ما جعل أهل سيدي محمود كونفدرالية وليسوا قبيلة بالمفهوم العرقي ، انظر : بن حامد الجزء الرابع إدوعيش ص : 15

[2] . فاطمة عبد الكريم إمارة إدوعيش مرجع سبق ذكره ص : 61

[3] . أبكاك : فصيلة من إدوعيش وأصله نوع من الصمغ الرديء ولفظ كان يطلقه عليهم خصومهم سخرية ، اعتبارا من أن الحرب اضطرتهم إلى أن يأكلوا هذا النوع من الصمغ لونه أحمر .

[4] . المختار بن حامد التاريخ السياسي مرجع سبق ذكره ص :191

وقعة " يوم بوعنز " في جماد الثاني سنة (1239هـ 1823 م) ثم " يوم لكران " سنة (1241هـ 1825م)، إلا أن فسد الود بين الأمير أسويد أحمد وبين كنتة وأولاد الناصر، فلم يكن من الأمير إلا أن توجه إلى عمه المختار أمير الشراتيت فحصل الاتفاق بينهما مع عبد الله بن سيدي محمود على حرب القبيلتين فوقع " يوم الجنكرونية "[1] (المعروف بيوم لحصيرة) في محرم سنة 1241هـ 1825م، ومن الأيام التي تذكر كذلك في الوقائع العسكرية للأمير أسويد أحمد يوم كوصاص في رجب 16 سنة 1241هـ 1825م، بين الشراتيت وأهل سيد محمود وأولاد الناصر حلف ، وأبكاك حلف آخر قتل فيه ابن أعلي بن امحمد شين ويوسف بن امحمد شين، وقتل من أولاد الناصر فال بن أحمد بن امبرح ، وكذلك تاغطاف بين أبكاك والشراتيت في صفر 1242هـ 1826م ، وقد استطاع اسويد أحمد أن يترأس إدوعيش بعد وفاة عمه المختار، باستثناء أهل أعلي بن محمد شين الذين اتحدوا مع كنتة وأولاد الناصر، وقد هجم أسويد أحمد على أولاد الناصر في عريظ وهي الواقعة المعروفة بـ (مصيقلة)، بالنظر إلى أنها خالية من أي تحالف [2].

وهجم على كنتة في السنة الموالية عند (تنعمني) فهزمهم فيها أوفي السنة التي تليها، ولكن كنتة وأولاد الناصر هاجموا أسويد أحمد عند ازرافية فهزمهم فيها أو في السنة التي تليها، وفي نفس التاريخ وفي بداية 1244هـ/ 1928م،هجم اسويد أحمد على الأمير اعلي بن محمد شين فنهب أمواله، غير أن اعلي استنفر أولاد الناصر بقيادة بكار بن أحمد بن امبرح وكنتة بقيادة سيد الأمين بن أمينوه سوى أولاد سيدي الأمين بن حبيب الله من كنتة، الذين اعتزلوا هذه الحرب فكان " يوم الجاكلي " جماد الأول (1245هـ 1829م)[3]. وتوالت الوقعات الدامية في المخيشبة وغيرها أزيد من ثلاثين وقعة واستمرت الحروب عقودا، تبدلت فيها وجوه الحلفاء والأعداء إلى أيام الاستعمار .

ومن أيام الأمير أسويد أحمد مع الإمارات الحسانية المجاورة ، يوم (جكه) ضد أولاد السيد البراكنة، وكانوا بقيادة أحمد بن سيدي أحمد 1245هـ، وفي سنة 1829م توفي اسويد أحمد مغدورا بأمر من عمه على يدي خادمه يسمى دمبه[4].

على حين غفلة من الناس ودفن عند (انوار) من أفام الوديان شمال غرب الرشيد، وفي هذه السنة تصالح أهل سيدي محمود وكنتة[5].

[1] . الجنكرونية : وتسمى الحصيرة وهي موضع بتكانت بين إدوعيش جميعهم لجهة ، وكنتة وأولا الناصر لجهة .
[2] . المختار بن حامد التاريخ السياسي مرجع سابق ص : 192
[3] . فاطمة عبد الكريم إمارة إدوعيش مرجع سابق ص : 13
[4] . المختار بن حامد التاريخ السياسي مرجع سابق ص : 193
[5] . الحسين بن محنض تاريخ موريتانيا الحديث ص : 189

وبوفاته سوف تزداد الأزمة عنفا وتأخذ مسارا جديدا كرسه انتشار ظاهرة الاغتيالات، التي عرفها الطرفان كتعبير عن عجز أي من الجانبين عن حسم الصراع لصالحه، ثم توفي سليمان بن محمد شين سنة 1831 م، ومن بعده عبد الله بن محمد شين، الذي نازعه محمد بن اسويد أحمد ومعه الشراتيت فوقعت بينهما أيام منها " يوم التويمرات " 1247 هـ 1831م ، مات فيه اعلي بن محمد شين و " يوم منكل " 1248هـ و" يوم جنكل " 1251هـ ، ولكن الأمر خلص لعبد الله عندما اغتيل محمد بن أسويد أحمد من طرف حارسه وهو مولى لأولاد الناصر سنة 1252هـ[1]، ولعبد الله أيام مع اشراتيت بعد وفاة محمد منها يوم العياط، واستمرت الحرب بين أبكاك واشراتيت ومن أيامهم " يوم الفج " سنة 1256هـ، ثم يوم " الدبلكي " في نفس السنة ثم يوم " الحنوك"[2].

وفي ظل هذه الظروف المتردية على المستوى العام، برزت شخصية سوف تطبع بتوجهها كامل ما تبقى من القرن 19م بالنسبة لإمارة إدوعيش، متمثلة في شخص بكار بن أسويد أحمد، الذي امتاز عهده بقوة الشخصية الشيء الذي مكنه من وضع حد للفوضى التي عرفتها المنطقة بوجه شامل فاستطاع بذلك فرض وجوده على طائفة أبكاك في الطور الأول، ليصبح الأمير الشرعي والأوحد على مستوى إدوعيش قاطبة وإن ظل الانقسام موجودا .

وسيواجه بكار في العقد الأخير من حياته النفوذ المتنامي للفرنسيين الطامحين إلى بسط سيطرتهم على البلاد .

وانطلاقا من هذه الوضعية سنحاول أن نعرج على الدور الذي ساهم به بكار وذلك في نقطة لاحقة معنونة ب بكار ولد اسويد أحمد ودوره في إعادة بناء الإمارة .

. اشراتيت : كانت سلطتها في الرقيبة (من شرق البلاد منطقة لعصابة حاليا) ومن أهم أمرائها المختار بن امحمد شين وهو عم الأمير اسويد أحمد وقد حكم ما بين (1236هـ . 1241هـ/ 1821م .1825م) وفي عهده وقعت أيام دامية من أشهرها "يوم جوك بوص" في أول ربيع الثاني سنة 1237 هـ 1821م ، حيث أوقع فيه التحالف المضاد بعشرات من أولاد سيد الوافي من كنتة[3]، وتوالت بعد ذلك المعارك الضروسة بين أحفاد الطرفين .

أما الأمير الثاني فكان أعلي بن امحمد شين (1242هـ . 1246 هـ/ 1826م . 1830م) وقد انشق عليه غالبية الشراتيت وانضموا إلى اسويد أحمد أبكاك، ومن بعده كان عثمان بن المختار بن امحمد شين وقد كانت فترته فترة قوية بالنسبة لشراتيت

[1] .الشيخ سيديا بابه بن الشيخ سيديا إمارتا إدوعيش ومشظوف مرجع سابق ص : 67

[2] . المختار بن حامد حياة موريتانيا الجزء الرابع إدوعيش تعليق سيد أحمد بن أحمد سالم ومراجعة الأستاذ محمد ولد الدي منشورات الزمن . الرباط . مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 2013م ص : 49

[3] . سيدي محمد الخليفة الكنتي الرسالة الغلاوية مرجع سابق ص : 112

الذين رجعوا إلى سابق عهدهم من الوحدة، حيث رجع من كان منهم مع اسويد أحمد ومن ثم احمد بن المختار بن امحمد شين الذي لم تطل رئاسته، فقد توفي بعد سنة من توليه الإمارة[1].

وتولى بكار بن محمد المختار من بعده شؤون الإمارة وقد قتله أهل اسويد أحمد وجاء دور الرسول بن اعلي بن امحمد شين الذي مكث في الإمارة سبع سنوات وكان معاصرا لبكار بن اسويد أحمد أمير أبكاك ومن الأمراء الذين تولوا الإمارة حتى بعد الاستقلال[2] .

مع أن الإمارة تختلف عن النظام السياسي القبلي بجمعها تحت سلطة سلالة أميرية واحدة، مجموعة القبائل الحربية والزاوية والتابعة في مناطق نفوذها، إلا أن هذه اللحمة وإن كانت قد شكلت مصدر قوة وعامل انتصار في فترة ما، فإن استمرار الاعتماد عليها شكل عامل ضعف سياسي ومصدر تنافس اجتماعي، بغية الحصول على السلطة، لنتوقف عند الصراع الكنتي ـ المحمودي لما له من صلة بالأزمة التي عانت منها الإمارة ودوره في إذكاء النزاعات والتحالفات العسكرية، وإن لم يكن هذا الصراع وليد الانقسامات الداخلية لإمارة إدوعيش وإنما أبعد من ذلك .

ب ـ صراع كنتة وأهل سيد محمود :

في القرن الخامس عشر قدم كنتة من الجزيرة العربية واستقروا نواحي زمور،وذلك مع شروع القبائل الحسانية بالتوافد على المنطقة، وإدو الحاج حينئذ زوايا تجمعهم محبة ولين مع كنتة، دون أن يكونوا حلفاءهم .

وفي هذه الأجواء رأى سيدي محمد الكنتي أن يتبوأ لنفسه ولأتباعه مكانة بين القبائل، بعد أن زاد وعيه بخصوصية المنطقة التي تعيش فوضى داخلية، ناجمة عن غياب السلطة المركزية التي تنتظم حولها المجموعات القبلية الموجودة، إلا أن خلافا قويا نشب فجأة بين مجموعتي (كنتة وأهل سيدي محمود من إدو الحاج) شكلت انعكاساته بداية العداءات الدموية بتكانت ، ولعل ذلك من أسباب انتقال لمرابط سيدي محمود[3] إلى بلاد الرقيبة وبلاد تكانت، إلى جانب قبيلة إدوعيش، نصيحة من الطالب المصطفى الغلاوي، حيث سيكون له ولأتباعه وتلاميذه شهرة بعد أن عرف الناس صلاحه وورعه، في حين توجه كنتة تحت زعامة سيد بوبكر إلى قصر البركة والرشيد واستقروا فيهما ، ليشتركوا بذلك مع باقي المجموعة المكونة لإمارة تكانت، في مجال ترابي واحد، ولتبدأ من هنا الخلافات بين أهل سيدي محمود في إطار الصراع الديني، إلى جانب المكانة السياسية، ملقية

[1] . الشيخ سيديا بابه بن الشيخ سيديا إمارتا إدوعيش ومشظوف ص : 69

[2] . فاطمة عبد الكريم إمارتا إدوعيش ومشظوف ص : 61

[3] . هو لمرابط بن سيد محمود توفي : 1786م الذي جاء إلى المنطقة مهاجرا من وادان وشكل مركزا استقطاب جذب العديد من المجموعات البشرية المختلفة وخاصة بعض عناصر إدوعيش .

بثقلها في الصراعات الانقسامية داخل البيت الأميري الإدوعيشي، إلا أن الصراع بين كنتة وأهل سيدي محمود لن ينفجر إلا بعد استفحال الأزمة في بنية الإمارة، بعد وفاة أميرها القوي محمد بن امحمد شين الذي دام حكمه بين (1202 . 1216 هـ . 1788 . 1822م) الذي تنبأ بحسه السياسي بأن قوة أهل سيدي محمود هي (خراب إدوعيش) على حد تعبيره، وهو ما ذكرته مقتضيات الظروف التاريخية بعد وفاته[1] التي من بينها :

. الاستقلالية الشديدة التي كانت لكنة في منطقة تكانت، مما جعلهم مصدر تهديد لتكانت أو على الأقل قطبا معارضا على الدوام لهيمنة إدوعيش .

ـ كان مشروع قوة أهل سيدي محمود يسير إلى مراميه النهائية، تساعده في ذلك أزمة هيكلية تتنامى في إمارة إدوعيش وقيادة حازمة تتمثل في شخص عبد الله بن سيدي محمود .

ـ وفاة محمد بن امحمد شين الذي كان سدا أمام الفتن في تكانت، موصفا بالعدل واحترام الزوايا التي عانى بعضها بعد موته من العنف السياسي والضغط الجبائي، في مسلسل من تردي الأوضاع وصفه الشيخ سيديا بابه بعض منعطفاته بقوله : " إن أهل الآبار من الزوايا لم يعطوا درعا من الخنط في المدارة لأحد من أهل تكانت إلا بعد يوم اندور .."[2]، وهي المعركة التي مثلت أول مظاهر الصراع بعد وفاة الأمير الراحل محمد بن امحمد شين، لتشتعل نار الحرب بين كنتة وأهل سيد محمود في جانب من الصراع بين إخوة الأمير الهالك وشيعة سيد أحمد، حتى كاد بعض الباحثين يرى أن الحرب بين كنتة والحاجين مجرد جولات من الصراع بين إدوعيش ، والحقيقة أن الأمر كان كذلك في المراحل الأولى من الحرب، لكنه استحال إلى اقتتال مباشر من القبيلتين في أكثر من وقعة، بعد أن انقسمت إمارة إدوعيش وتجذر الخلاف بين قطبيها ، وبعد انتقال قبائلها نحو الحلف الذي كونه الرئيسي عبد الله تحت اسم (أهل سيد محمود)[3]، بعد أن أعاد التنظيم القوي الذي التف حول والده لمرابط سيد محمود، مستندا من زواجه من بنت محمد شين، الذي كان زواجا سياسيا في المقام الأول، مما جعله يتحكم في جانب من التبعية السياسية داخل الإمارة المنقسمة ، فانتهز الفرصة بعد وفاة الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير 1826 بحكم جلال منصب هذا العالم وسيادته،فبدأ بمضايقة كنتة دافعا عنه خلفه المختار بن محمد الشين الذي ترأس ما بين (1236 . 1252هـ . 1821 . 1826م) للتحالف معه وللإغارة على كنتة .

[1] . سيدي محمد الخليفة الكنتي الرسالة الغلاوية مصدر سابق ص:111

[2] . الشيخ سيديا بابه بن الشيخ سيديا إمارتا إدوعيش ومشظوف مرجع سابق ص : 103

[3] . سيدي محمد الخليفة الكنتي الرسالة الغلاوية مصدر سبق ذكره ص : 111

لتتوالى بعد ذلك المعارك الطاحنة بين الطرفين التي كانت أولها معركة "كندية" ثم "اندور"سنة 1236هـ ، واشتدت الحرب على الصعيد العسكري، فوقعت معركة "جوك بص"سنة 1237هـ، حيث أوقع فيها التحالف المضاد بالعشرات من أولاد سيد الوافي، لتلاحق المعارك أزيد من سبعين سنة بين أحفاد قادة الطرفين، والتي كان من نتائجها الانزياح لزاوية الكنتية في أزواد، نحو هموم وتطور الحرب في تكانت والحوض، كما أدت مختلف المعارك والجولات السياسية نتائج منها[1].

ـ الإجهاز على عملية التطور السياسي التي كانت قوة إدوعيش تسير فيها، لتنقسم إلى أجنحة متصارعة فقدت مكانتها التقليدية السابقة بين قبائل المنطقة .

ـ سقوط العديد من الضحايا من القبيلتين بل ومن القبائل الأخرى ، تدهور مصادر العيش للسكان بفعل المعارك الطاحنة وانعكاسها سلبا على تطور الواحات الجبلية ، كما تنامت هجرة السكان من القرى إلى الأرياف خوفا من الغارات الطاحنة .

ظهور قوة أهل سيدي محمود كرئاسة محاربة تضم تحت لوائها جزءا كبيرا من إدوعيش بالإضافة إلى آلاف من الزوايا المهاجرين[2].

وقد تركت هزيمة كنتة أثرا بالغا في نفس سيدي محمد الخليفة الكنتي، معتبرا أنها فيصلا بين مرحلتين حاسمتين أولهما كان فيه (الظالم وهو إدوعيش) والثانية صار فيها المعتدي (الباغي أهل سيد محمود)، وبالإضافة إلى العوامل الآنفة الذكر أي الانقسامات التي شهدتها الإمارة والصراع الكنتي المحمودي، فإن الأزمة الاقتصادية هي الأخرى بدورها كانت سببا في تفاقم الوضع الذي تمثل في ضعف قاعدة السلطة الأميرية، التي انحصرت مواردها على الغزو والمغارم المفروضة على الأتباع والأغفار، الموظفة على عابري السبيل من التجار والمنمين صونا لأموالهم وأنفسهم .

إضافة إلى الأنشطة التقليدية التي كان الزوايا هم القيمون على مزاولتها، لتأنف المجموعات صاحبة الشوكة منها على سبيل المثال كانت قبيلة تجكانت تسيطر على تجارة الصمغ في تكانت، لكنها تعرضت لتأثير الحرب مما أفقدها الأمن وهذا ما جعلها تفقد الاستقرار ونتيجة لذلك أصبحت تنتقل دوما إلى المناطق الأكثر أمنا والبعيدة عن تأثيرات الحرب[3] .

إضافة إلى تراجع محاصيل الواحات بسبب الدمار الذي نتج عن تقطيع النخيل في كل من الرشيد وقصر البركة، مما أدى إلى نهاية المحاصيل الزراعية ، كالقمح والشعير ، التي تقام في الواحات وانعكاسها سلبا على تطور تلك الواحات ، ولم يكن قطاع

[1] . سيدي محمد الخليفة الكنتي الرسالة الغلاوية مصدر سبق ذكره ص : 111

[2] . سيدي محمد الخليفة الكنتي الرسالة الغلاوية مصدر سبق ذكره ص : 114

[3] . فاطمة عبد الكريم إمارة إدوعيش ، مرجع سابق ص : 64

الماشية بأحسن حظا من القطاع الزراعي فقد تعرض لعمليات السلب ، مما أدى الى انخفاض على مستوى القطعان ، إلى جانب هذه المعطيات ودور الجفاف الذي قضى على الكثير من الثروة وانتشار الجوع والفقر ، هذا بالإضافة إلى عدم جدوائية الضرائب العرفية على الصعيد الاقتصادي، فلم تؤدى إلى تراكم كمي يفضي إلى تحول كيفي وإنما تدخل في دورة توزيعية واسعة نسبيا، ولذا ظل السمة الغالبة على هذا النوع من الموارد القائمة على منطق القوة والإكراه ، هذا بالإضافة إلى الأزمة الاجتماعية التي جسدها النظام الأميري في تكانت، حيث أدى إلى القضاء على أعداد كثيرة من أفراد القبائل المتقاتلة وحتى القبائل الأخرى أثناء الحروب التي عرفتها في فترة النزاع على السلطة، نتج عن هذه الوضعية غياب سلطة مركزية مما ساهم في انتشار الفوضى على طول الفترة، وعدم الأمن والاستقرار، ففتح الباب أمام هجرات بعض المجموعات العسكرية إلى القبائل الزاوية، معلنة بذلك توبتها وتخليها عن السلاح، واحتفاظ بعضها به مثل أولئك الذين هاجروا إلى أهل سيدي محمود تلك القبيلة، التي شاع صيت زعيمها الروحي السياسي عبد الله بن سيدي محمود، خصوصا بعد أن أصبحت قوة لا يستهان بها مستفيدة من الانقسام الإدوعيشي[1] ، لتضعف هذه الهجرات البنية الاجتماعية للإمارة، في حين أنها رفعت من المستوى العسكري لأهل سيدي محمود المتصاعد على حساب إدوعيش، لتدخل في الصراعات مع إدوعيش أنفسهم بقيادة بكار بن اسويد أحمد، مما ساعد في خروج بعض المجموعات التي ارتبطت بالزاوية إلى اليوم .

بالإضافة إلى العوامل الخارجية كان لها هي الأخرى نصيب الأسد في إذكاء الصراع مثل الضرائب العرفية والإمارات المجاورة .

ج ـ بكار بن اسويد أحمد وجهوده في إعادة بناء الإمارة:

هو بكار بن اسويد أحمد الأمير الشهير والمجاهد والسياسي والقائد، كان كما يقول المختار بن حامد أكبر أمير عرفته تكانت بعد جده امحمد شين ، وهو أطول أمراء إدوعيش مدة ، انقضت مدته في الملاحم، وقد عرف منذ صباه بالفروسية والتحمس إلى الحرب ومات أبوه أسويد أحمد وهو صبي،فتولى الإمارة عمه سليمان بن امحمد شين[2]، ثم أخوه عبد الله الذي أظهر له الموالاة في بداية الأمر وبعد وفاته سنة 1258هـ خلص الأمر له ، قضى في الإمارة ما يناهز سبعين سنة واستقل رئاسة آبكاك، كما استقل عمه المختار بن أحمد بن المختار برئاسة اشراتيت، وصلح الحال بين قسمتي إدوعيش مدة من الزمن، لأن الحرب ما لبثت أن اشتعلت بينهم فاستطاع بكار بسلطته أن يضع حدا للفوضى التي ضربت أطنابها في المنطقة[3].

[1] . فاطمة عبد الكريم ، إمارة إدوعيش ، مرجع سابق ص : 64

[2] . المختار بن حامد ، الجزء الرابع إدوعيش ، مرجع سبق ذكره ص : 55

[3] . المختار بن حامد حوادث السنين أربع قرون من تاريخ موريتانيا وجوارها تحقيق سيدي أحمد بن أحمد سالم هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، دار الكتب الوطنية 2001 م ص : 475

وقد جمع كلمة أبكاك تحت سلطته بل إنه في بعض الأحيان جمع كلمة إدوعيش قاطبة تحت إمرته، وهذا ما أشار إليه الشيخ سيديا باب في قوله : " بل ربما شيخه عامة إدوعيش بعض الأحيان شياخة غير حقيقية .." [1].

وكان بكار طموحا ولم يكن نظره قاصرا على إمارة أبكاك، وإنما كان يسيطر على كافة أنحاء البلاد، وقد اتبع سياسة نشر العدل واستتباب الأمن، ولقد أظهر السكان المجاورون له ، ونقصد بالذات الزوايا منهم على أنه مهتم بالأمور الدينية اهتماما زائدا، ودخل في البداية في مواجهة مع الشراتيت وأهل سيدي محمود، ولكن بكار كسب في نهاية المطاف نصرا لا بأس به بالنظر إلى الانقسام الذي عرفته إمارة الشراتيت، الشيء الذي مكنه من التدخل بين أهل اعلي بن محمد شين وإخوتهم، فنزع بكار طبل أهل أعلي وأعطاه لأهل المختار، فترأس المختار بن امحمد المختار كافة الشراتيت[2]

وقد قاد حرب إدوعيش ضد مشظوف في " يوم أيريارة " سنة (1293هـ) ويوم " أكمون " سنة (1299هـ) بين إدوعيش جمعها أبكاك والشراتيت ضد أدو الحاج، معززين بمشظوف، ثم "يوم المدروم" في أفله، وحارب الأمير بكار أولاد امبارك ومن أيامهم " يوم انيور " 1283هـ[3].

و في هذا المقام يقول عنه أحمد الأمين الشنقيطي في كتابه الوسيط : " ... أنه ملأ صيته أرض شنقيط وقد اشتهر بالصبر والسياسة والحرب وإكرام الزوايا .."[4]، حيث دخل في صراعات الترارزة الداخلية، فساند أبناء محمد لحبيب وأشقاؤه ضد أخيهم أعلي بن محمد الحبيب، في أيام منها "يوم الجلة"و"يوم أيشاية" ، ثم البراكنة وآدرار على السلطة، كما خاض حربا ضروسا ضد مشظوف واهل سيدي محمود واصطدم بالحاج عمر الفوتي،وآوى لاجئي كايور وأديولف وفوته المناهضين للاحتلال الفرنسي في بلادهم[5].

وإذا كانت حروبه مع مشظوف[6] وآدرار مكنته ـ ولو إلى حين ـ من جمع كملة إدوعيش فإن تدخلاته في البراكنة قد غذت باستمرار صراعات المجموعات الإدوعيشية، بحكم تقاطع طبيعة الصراع في الإمارتين، مما نتج عنه تاريخا من التحالفات ، فقد

[1] . الشيخ بابه بن الشيخ سيديا إمارتا إدوعيش ومشظوف مرجع سبق ذكره ص : 112

[2] . الشيخ بابه بن الشيخ سيديا إمارتا إدوعيش ومشظوف مرجع سبق ذكره ص : 112

[3] . المختار بن حامد حوادث السنين مرجع سبق ذكره ص : 475

[4] . محمد الأمين الشنقيطي (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مؤسسة منير موريتانيا الطبعة الرابعة 1989 م ص : 486

[5] . محمد المختار الإمارات والنظام الأميري مرجع سابق ص : 139

[6] . مشظوف : هي من القبائل الصنهاجية القديمة بالبلاد شكلوا إمارة قوية ولها نفوذها مع بداية القرن 19 م في الحوض وقد استطاعوا على غرار أهل سيدي محمود استقطاب الكثير من القبائل فصارت عبارة عن اتحادية كبيرة .

كان للصراع بين أولاد نغماش وأولاد السيد على السلطة أثرا مباشرا على جيرانهم إدوعيش، حيث ظل أبكاك يؤازرون أولاد نغماش في حين تحالف اشراتيت سياسيا واجتماعيا مع أولاد السيد باستمرار .

ومن أشهر أيامه مع أولاد يحي بن عثمان يوم " إبيي " ، هاجم فيه الأمير بكار ولد اسويد أحمد الذي كان مصحوبا بابن أخته أحمد بن امحمد بن أحمد بن عيدة وعمه الشنظورة بن أحمد بن عيدة، حلة المختار بن عيدة، وقتل المختار فمثل ذلك بداية لسلسلة من التدخلات المستمرة لبكار في شؤون إمارة آدرار ، واندلعت الحرب بين بكار وأولاد يحي بن عثمان، خاصة في عهد أمير آدرار أحمد بن سيد أحمد، فجرت بين الطرفين أيام شهيرة منها " يوم آرزاك " ويوم " الطرطيكة الحنوك "، يقال أيضا قصر البركة بين كنتة وأهل يحي بن عثمان ، وإدوعيش جمعها أبكاك والشراتيت وتقابلت الشراتيت مع كنتة وأبكاك مع أولاد يحي بن عثمان " يوم أمراير " وحمدون كلها في سنة (1309 هـ 1891 م) جمعها على إدوعيش لكنهم انتصروا في " يوم فرع " الكتان سنة (1310هـ 1892م)[1].

ويذكر سيدي بن الزين العلوي أنها كانت آخر وقعة تقع بين إدوعيش وأولاد يحي بن عثمان، لأنهم أجلوهم عن المنطقة ولم يزل بكار تارة في الحرب وتارة في غيرها يحكى أنه ما حاربه أحد إلا كانت الغلبة له عليه[2].

كانت أسباب هذه الحروب أو الأيام، كما يسميها بعض الكتاب نظرا لقصر مدتها الزمنية غالبا على السلطة والحيز الجغرافي وما أشبه ذلك، نظرا إلى أهميتهما في تلك الفترة، وأحيان تحدث صراعات داخل البيت الأميري نفسه وأبناء العمومة ، وتارة من طرف الإمارات المجاورة وتعددت أسباب ذلك الصراع ، وأما نتائج تلك الصراعات عبارة عن تغلب إحدى الأطراف على الآخر وفرض هيمنته .

ويرجع نجاح بكار إلى صفاته الفذة والشجاعة وحسن التدبير، فقد استطاع في كل مرة أن يحصل على النصيب الأوفر في علاقته مع حلفائه ومع خصومه، في الداخل تكانت ولعصابة، وفي الخارج مواجهة أنداده من الأمراء حتى في القرن 19م كأقوى سلطة في البلاد[3] ، حيث استطاع في الداخل ان يحافظ على توازن صعب بين اشراتيت وأهل سيدي محمود وتحكانت من جهة ، وكنتة من جهة أخرى واقفا بنزاهة من كل الطرفين نفس الموقف .

[1] . المختار بن حامد حوادث السنين مرجع سبق ذكره ص : 475

[2] . سيدي بن الزين العلوي كتاب النسب في أخبار الزوايا والعرب ص : 131

[3] . الشيخ سيد محمد إمارة إدوعيش وأهم الأسس التاريخية للسلطة في موريتانيا مرجع سبق ذكره ص: 53

وفي الخارج كان حلفاؤه في كل من إمارة أولاد نغماش وفي إمارة البراكنة وأهل المختار في إمارة الترارزة ، وفي آدرار حكم ابن أخته أحمد بن امحمد فيما بين (1871. 1891م) وقد أعاد بكار بن أسويد أحمد لإدوعيش صورتهم القديمة الناصعة[1] ، وامتاز عهد بكار بالاستفادة من التجارة الفرنسية في حوض النهر الأعلى، ولاسيما عائدات التبادل في محطتي باكل وماتم الخاضعتين لإدوعيش من 1821م، ولم يكن التنافس على الاستفادة من الامتيازات التي تمنحها السيطرة على كل المركزين والإشراف على التبادل فيهما بمنأى عن الصراع الطويل بين اشراتيت وأبكاك[2].

وقد طال عمر بكار حتى قارب المائة وأدرك الاحتلال الفرنسي لموريتانيا، وأنهى عمره المديد شاهرا سلاحه في وجهه، ونظم مقاومة وحشد قبائل تكانت لذلك في معارك مشهورة بآفطوط وافله، سنتعرض لها بالتفصيل في الفصل الثاني من هذا العمل بإذن الله تعالى.

المحور الثالث: البنية الاقتصادية للإمارة

اعتمد سكان المنطقة في مواردهم الاقتصادية منذ زمن بعيد على الأنشطة الاقتصادية التقليدية المتمثلة في الرعي والزراعة والتجارة كموارد لا غنى عنها في توفير المتطلبات والحاجيات الضرورية للمعيشة، وهي الموارد ذاتها التي اعتمدت عليها الإمارة، ونفصلها على النحو التالي:

أ . الرعي : تعتبر تربية الماشية (الإبل والبقر والغنم والخيل) العمود الفقري للاقتصاد في بلاد البيظان بشكل عام ومناطق الوسط بشكل خاص في تلك المرحلة ، وتتوزع الحيوانات التي ترتبط بها حياة السكان في مختلف مناطق الإقليم ، وذلك حسب خصوصية المجال الذي يساعد في تربية الماشية ، ففي الأجزاء الشمالية حيث تقل الطفيليات التي تهدد بانقراض بعض الحيوانات بينما تنتشر قطعان الإبل والضأن والخيل في مناطق تيشيت وآوكار[3].

وقد ساعدت تربية الأبقار المجموعات الرعوية على الاستقرار النسبي مما مكنهم من مزاولة التعلم والتعليم ، وفي المقابل اهتمت القبائل ذات الشوكة في المنطقة بتربية الإبل والخيل لما لها من دور فعال في بناء القدرة العسكرية .

وتعتبر الألبان واللحوم والصوف والجلود التي توفرها هذه الماشية مواد أولية في الصناعة التقليدية لسكان المنطقة .

[1] . نفس المرجع السابق

[2] . محمد المختار الإمارات والنظام الأميري مرجع سابق ص : 139

[3]. محمد المصطفى ولد حامد، أزمة إمارة تكانت في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، مذكرة لنيل شهادة المتريز ، جامعة نواكشوط، 1991/1990 ص :6.

ب . الزراعة : تأتي الزراعة في المرتبة الثانية في سلم الاقتصاد في المنطقة، ذلك أن هذا النشاط كان يعتمد على وسائل بدائية الشيء الذي انعكس على كميات الإنتاج.

وقلل بالتالي الاهتمام بهذا النشاط بالإضافة إلى كون الزراعة في المنطقة كانت تعتمد في جلها على مياه الأمطار ، وعلى الرغم من هذه العراقيل فقد ظلت الزراعة نشاطا اقتصاديا حيويا لدى سكان المنطقة ، وتعتبر الزراعة من العوامل المساعدة على الاستقرار حيث يشكل المزارعون تجمعات سكنية حول الحقول لرعايتها والحفاظ عليها وتنقسم الزراعة إلى قسمين :

- **الزراعة المطرية** : وهي الزراعة التي تعتمد على الأمطار ، وتخضع كميات الإنتاج فيها للتساقطات المطرية التي تختلف من منطقة إلى أخرى، وتعتبر الأجزاء الجنوبية من المنطقة التي تحظى بتساقطات مطرية معتبرة أكثر حظوة من غيرها في استقطاب المزارعين ، وذلك لأن هذه الخصوصية مكنت السكان من رفع مستوى المحاصيل الزراعية (الذرة والدخن والفاصوليا) .

- **الزراعة المروية** : ترتبط الزراعة لدى سكان المنطقة بواحات النخيل ، وقد مكنت هذه الزراعة السكان من وضع قواعد حضرية ونشأت حول مزارع النخيل في مختلف مناطق الإقليم تجمعات سكنية شكلت الأسس الفعلية لحياة الاستقرار والتحضر اللذين تقتضيهما خصوصية النشاط ، وهكذا وجدت حواضر تجكجة وقصر البركة والرشيد وكرو في ما بعد .

ويمارس السكان المنطقة الزراعة تحت النخيل التي توفر محاصيل زراعية معتبرة كالشعير وغيره من الحبوب ، وتعتمد هذه الزراعة على المياه الجوفية بالأساس ، كما أن التساقطات المطرية تساعد على تنويع المحاصيل الزراعية ، وزراعة المساحات في فصل الأمطار .

وقد كانت مزارع النخيل مترامية الأطراف في القديم داخل المنطقة ، ومع مرور الزمن لاقت هذه الزراعة اهتماما كبيرا من قبل سكان المنطقة ، وتتم غراسة النخيل في المناطق الصحراوية من الإقليم وقد ازدهرت هذه الزراعة على أيدى السكان القائمين على غراستها مثل :

إدوعل في تجكجة وكنته في الرشيد ، ومسمومة ، وتجكانت في أرقيبه .

وتعتبر هذه الواحات من أكبر وأشهر واحات النخيل في المنطقة ، وكانت تتم عملية المقايضة بين المحاصيل الزراعية في الجنوب من ذرة ودخن وفاصوليا بمنتوجات الشمال من تمور وشعير وغيرها ، ، وقد مكنت هذه العملية السكان من وضع أسس اقتصادية متكاملة يحقق الاكتفاء الذاتي دون الاعتماد على الدعم الخارجي .

ج . الصناعة التقليدية: تقوم على مزاولة هذا النشاط الحرفي فئة الصناع التقليديين ، وتوفر هذه الصناعة لأصحابها نشاطا مدرا ، كما توفر للسكان بعض حاجياتهم من الصناعات الحرفية البسيطة كالفؤوس والخناجر وبعض الآلات التي تستخدم في فلاحة الأرض ، كما يقومون ببعض الصناعات الخشبية كصناعة الأواني وأدوات الزينة ، وتختص نساء هذه الفئة على جانب رجالها في كل ما يصنع من الجلود ، كما يتطلعون أيضا إلى بعض الصناعات الحربية كصناعتهم الباردوز ..

وعموما فإن هذه الفئة الاجتماعية توفر لسكان مناطقهم الصناعة التقليدية

د . التجارة : إن موقع موريتانيا الجغرافي جعل منها جسرا يربط ما بين العالم الأسود في إفريقيا في الجنوب والمغرب في شمال القارة ، وبفضل هذا الموقع فقد تمكنت من التحكم في الطرق التجارية العابرة للصحراء والمتجهة إلى بلاد السودان.

وتقوم التجارة عادة على المقايضة التي ترتكز على أساس التبادل بين بعض المواد الداخلة في عملية المتاجرة، وذلك نظرا لانعدام الأوراق النقدية، وقد ظلت هذه التجارة قائمة خلال العهود السالفة للحقبة الاستعمارية، وحتى أثناءها وتعتمد على صيغ التبادل التقليدية .

وتنقسم التجارة إلى تجارة داخلية وأخرى خارجية .

- **التجارة الداخلية** : تعتبر حركة التجارة الداخلية محدودة إذا ما قورنت بما هي عليه اليوم ، وكانت تقوم على أساس المقايضة (الدخن ، العلك ، التمور ، الحبوب)

وكانت أهم مواد الشمال هي : التمور والجلود والصوف في حين كانت أهم مواد الجنوب الحبوب وخاصة الذرة والدخن ، وقد حقق السكان بفضل اختلاف هذه الموارد تكاملا اقتصاديا .

هذا بالإضافة إلى تجارة الملح التي كانت تلعب دورا كبيرا في اقتصاد الفترة ، حيث كانت مجموعات التجار تشتري الملح من شنقيط وتيشيت لتبيعه في الجنوب ، وتغطي سباخ أمرسال (تشيت) حاجيات الحيوانات من هذه المادة بل إن هذه السبخة شهدت توافد أعداد كبيرة من التجار الذين كانوا يحملون هذه المادة على ظهور الجمال ويبيعونها في الحوضين وارقيبه.

وتعتبر هذه السباخ ضرورية لتربية الإبل وهو ما زاد الطلب عليها بشكل مستمر

- **التجارة الخارجية** : ارتبطت هذه التجارة التي عرفتها المنطقة بالتجارة العابرة للصحراء في مرحلتها الأولى ، وذلك قبل التواجد الأوروبي على السواحل الإفريقية وظهور التجارة الأطلسية في مرحلة ثانية .

ويمكن اعتبار التجارة الصحراوية نتيجة لاختلاف وتكامل المواد الشمالية والصحراوية والسودانية .

وقد عرفت هذه التجارة ازدهارها الأول مع الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا 70هـ . 608 م بقيادة عقبة بن نافع الفهري ، وتركز هذه التجارة على الذهب والملح وبعض المنتوجات الأخرى وتتوفر موريتانيا على سباخ مهمة من الملح كسبخة آوليل وتغازة والجل .

وقد كانت السلط السياسية التي تعاقبت على المغرب تتولى السيطرة على الطرق والمسالك التي تعتبر الصحراء سوق تمكن المرابطون منذ النصف الأول من القرن الحادي عشر ميلادي من تنشيط الحركة التجارية ، حيث ازدهرت المراكز التجارية بعد أن عم الأمن وساد الاستقرار وتمركزت السلطة السياسية وقد تطور أثناء هذه المرحلة المحور الغربي الذي يربط بين المغرب الأقصى وجزء من الأوسط ومنطقة الصحراء والسودان على حساب المحور الشرقي ، فازدهر من هذا المحور الطريق الذي ينطلق من وادي درعة إلى الصحراء ، ومن ثم إلى السودان ، ويمر هذا الطريق بموريتانيا (آدرار) ويعرف هذا الطريق بالطريق اللمتوني القديم ، وذلك نسبة إلى قبيلة لمتونة التي كانت تنتشر في الأجزاء الشمالية والوسطى .

ومع الكشوفات الجغرافية تغيرت هذه الوضعية مما انعكس سلبا على التجارة عبر الصحراء نتيجة لانعدام الأمن والاستقرار ، إلا أنه ومع القرنين 17 . 18 الميلاديين ستزدهر بعض الطرق التي تخترق المجال الترابي الذي يدخل ضمن سيطرة إمارة إدوعيش وخاصة الطريق الذي ينطلق من سجلماسة لعبر الساقية الحمراء مرورا بسبخة الجل واودان ، والذي تتجه منه القوافل إلى الجنوب ، حتى الحدود الغربية لتكانت ، حيث يوجد قصر البركة والرشيد الذي تنطلق منه القوافل عبر الطريق الشرقي لتصل إلى تيشيت .

ويعود تأسيس تيشيت التي تضم أهم سبخة في المنطقة والواقعة في الأجزاء الشمالية منها إلى سنة 660هـ / 1260 م[1]

ومنذ تأسيسها أصبحت تيشيت محطة تجارية ومعدنا لسباخ آمرسال مما مكنها من أن تلعب دورا كبيرا في التجارة الداخلية والخارجية للمنطقة وخاصة في القرن 19م.

حيث يمر بها الطريق الذي ينطلق من اكليميم ثم الساقية الحمراء فى تيرس فسبخة الجل التي يصل منها إلى وادان وشنقيط ويتفرع منها إلى فرعين فرع ينتجه إلى نهر السنيغال عبر الترارزة وفرع يتجه منها إلى تيشيت[2].

[1] محمد المصطفى ولد حامد، مرجع سابق ، ص : 10

[2] إطول عمرو ولد محمد محمود، المقاومة العسكرية في مناطق الوسط الموريتاني من خلال عائلة عرفة، مذكرة لنيل شهادة المتريز في التاريخ ، 2008/2007 ، جامعة انوكشوط ، ص: 10.

الخاتمة

يتضح من هذا العرض أن إمارة إدوعيش كانت من أعرق الإمارات الموريتانية حيث تجمع الرويات التاريخية على أنها الوريثة الشرعية للدولة المرابطية، ورغم الغموض الذي يكتنف روايات التأسيس وطبيعة العلاقة مع إمارة أولاد امبارك في بعض المراحل إلا أن الذي لا خلاف فيه أنها استطاعت أن تكسر تحالف المغافرة في حصار لحنيكات، وأن تشكل استثناء من مسلمة انتصارات بني حسان في ملتقى القرنين السابع عشر والثامن عشر.

مرت الامارة بمنعطفات كبرى وشهدت صراعات عنيفة مع جيرانها في الشرق والغرب، وعاشت حروبا داخلية خسرت فيها خيرة أمرائها غير أنها استعادت قوتها من جديد وظلت حاضرة بقوة في التاريخ الاجتماعي والسياسي الموريتاني، وتصدت ببسالة للاستعمار الفرنسي ممثلة في أمراء مشهورين من أمثال الأمير المجاهد بكار ولد اسويد أحمد وابنه الأمير عثمان ولد بكار وابن عمهم الأمير المجاهد المهاجر المختار ولد أحمد.

المصادر والمراجع

– تنسب هذه القبيلة إدوعيش إلى لمتونة عن طريق يحي بن عمر اللمتوني وأمهات قبائلهم : أهل محمد بن خونة (بيت الرئاسة) والأنباط ويقال لهم أزناكة البيض ثم أولاد انتوفة وتقدة وسارة وغيرهم انظر : الشيخ سيديا باب بن الشيخ سيديا، إمارتا إدوعيش ، ومشظوف ، تحقيق : إزيد بيه بن محمد محمود ، والمختار بن حامد الجزء الرابع إدوعيش في جوانب متعددة من الكتاب.

[2] – محمدو بن محمذن ،المجتمع البيظاني في القرن التاسع عشر معهد الدراسات الإفريقية ، الرباط 2001 ص 272

[3] – سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم ، الفقيه الفذ والعالم الشهير ، ولد بمدينة تجكجة بوسط موريتانيا ونشأ في وسط علمي وتعليم وإمامة ، وقد خرج من موطنه في طلب العلم وتأدية فريضة الحج وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وقد عاد بعد اثنتي عشر سنة يحمل التقليد العلمي الفاسي وإليه نسب وعنه نشر أقبل عليه الناس عند عودته إلى مسقط رأسه ونال الحظوة عند رؤساء عصره ولاسيما إمارة إدوعيش حيث كان المستشار المطاع لأميرها محمد بن امحمد شين ، فصارت مدة تعلمه وخروجه اثنتي عشر عاما مكث في سفره سبع سنين إذ عاد من الحجاز سنة 1190هـ وقد مر بالمغرب واتصل بالسلطان المغربي مولاي محمد بن مولاي عبد الله بن مولاي إسماعيل وحينها أهداه السكان فرسا أبدلها بكتاب يسمى الحطاب " شرح لمختصر

خليل بن إسحاق في الفقه المالكي) فلما سئل ما فعلت بالفرس؟ قال : جعلتها حطابا من شدة حبه الكتب ، وقد أخذ العلم من بعض الشيوخ الأفاضل منهم المختار بن بونه الجكني .

[4] – المختار بن حامد موسوعة حياة موريتانيا الجزء السياسي دار الغرب الإسلامي 2000م ص : 185

[5] – الطالب اخيار بن الشيخ مامنا الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي ج2 منشوات الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتنمية ط 2 مطبعة المعارف الجديدة الرباط 2011م ص : 58

[6] – آ زناكة : الظاهر أنها تصحيف لكلمة صنهاجة القبيلة المشهورة والتي تفرع منها الكثير من القبائل الموريتانية وقد أخذت لفظ آزناكة في اللهجة الحسانية مدلولا اجتماعيا قيميا ، فصارت تطلق على القبائل الغارمة سواء كانت من أصل صنهاجة أو من أصل حساني.

[7] – محمد المختار بن السعد الإمارات والنظام الأميري ، مرجع سبق ذكره ص : 133

[8] – أولاد امبارك : وهم أحد فروع القبائل المغرفية وينسبون إلى امبارك بن محمد عثمان بن مغفر بن أدي بن حسان وقد أسسوا حسب رأي الباحثين إمارة لا تختلف عن الإمارات البيضانية ، بينما اكتفى البعض الآخر بالقول أنها كانت تشكل مشيخات فقط.

[9] – أم اعبانة : اسم جبل شرقي إيجيل وقعت به معركة انتصر فيها أولاد دليم على المغافرة سميت بذلك الاسم لكثرة القتلا ساروا على وجه الأرض كالعباءة .

10 – قبيلة مشهورة من قبائل بني حسان وتقطن في شمال موريتانيا وبعضهم في الصحراء ولهم تاريخ حافل مذكور هم : أولاد امعرف ، وتقال لأولاد اللب وأولاد سالم ، والكرع ، وأولاد أرميثة تقال لأولاد المولاة وأولاد بوهند.

11– كساري : هو موضع بالخط قرب مدينة تنبدغة بمنطقة الحوض وقعت به حرب بين أولاد بوفايد وأولاد امبارك

12 – أولاد بوفايد : مجموعة من أولاد امبارك تنتمي إلى اعلي بن داوود بن محمد بن عثمان بن مغفر بن أدي بن حسان .

13– فاطمة عبد الكريم، دور إمارة إدوعيش في تنظيم العلاقات التجارية لمنطقة حوض النهر (ق 18 . 19) بحث لنيل درجة الماستر في التاريخ جامعة نواكشوط ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2012 . 2013 ص : 9

14 – المغافرة : ذرية مغفر بن أدي بن حسان بن عاقل بن معقل الجد الجامع لقبائل معقل العربية

15- من قبائل إدوعيش ولهم دور بارز في بعض المعارك .

16- قاموس إدوعيش : أي أنه قل إدوعيش لحكمته وذكائه فكأنه بمثابة كتاب قاموس الذي يحوي مادة لغوية واسعة وهو مضرب المثل في الصحراء لندرته وأهميته .

17- سيدي بن الزين العلوي كتاب النسب في أخبار الزوايا والعرب مرجع سابق ص : 117

18- موضع بتكانت يبعد عن إكفان الواقع على طريق المجرية . تحككجة 10 كلم

19- إكيكة : موضع شمال القبة وشرق تحككجة وقعت به وقعت بين إدوعيش وأولاد امبارك .

20- احنيكات بغداد : موضع شرق تحككجة على بعد 12 كلم حاصر به المغافرة إدوعيش وكان ذلك الحصار في فترة الأمير بكار بن عمر بن خونا ، ويعتبر هذا الحصار لحظة تاريخية من أهم اللحظات التاريخية في موريتانيا فقد اجتمعت اربع قبائل مغفررية لتخضع قبيلة إدوعيش وهي أولاد امبارك وأولاد الناصر وأولاد يحيى بن عثمان والبراكنة، وفي أيامه تم انتصار إدوعيش على المغافرة وتحرروا من الإتاوة التي كانوا يؤدونها إلى أولاد امبارك .

21- محمد المختار بن السعد الإمارات والنظام الأميري مرج سبق ذكره ص : 135

22- الطالب اخيار بن الشيخ مامنا الشيخ ماء العينين علماء وأمراء ج2 ط (2011م) مرجع سبق ذكره ص : 58

23- الشيخ سيديا بابه بن الشيخ سيديا إمارتا إدوعيش ومشظوف مرجع سابق ص : 64

24- سيدي ولد الزين العلوي كتاب النسب في أخبار الزوايا والعرب ص : 128

25- أولاد الناصر : قبيلة من قبائل المغافرة تنتسب إلى ناصر بن مغفر بن أدي بن حسان وهم مشهورون وخاصة في منطقة الحوض ومنطقة تكانت حيث كان لهم حضور قوي في التاريخ السياسي والاجتماعي لتلك المناطق وللتوسع في تفريعات وبطون أولاد الناصر انظر : صالح بن عبد الوهاب الناصري الحسوة البيسانية في مواضع عدة من الكتاب.

26- الحسين محنض تاريخ موريتانيا الحديث مرجع سبق ذكره ص : 178

27- الشيخ سيدي محمد الملقب ولالي بن بون ، إمارة إدوعيش وأهم الأسس التاريخية للسلطة في موريتانيا قراءة جديدة لتطور إمارة تكانت من 1056 حتى 1905، بحث متريز في التاريخ، ترجمة الأستاذ محمد إبراهيم ولد الداه، جامعة نواكشوط كلية الآداب 1985 . 1986 ص : 48

28- الحسين بن محنض تاريخ موريتانيا الحديث ص : 179

29- المختار بن حامد التاريخ السياسي مرجع سابق ص : 184

30- محمد المختار بن السعد الإمارات والنظام الأميري مرجع سبق ذكره ص : 136

31- فاطمة عبد الكريم إمارة إدوعيش مرجع سابق ص : 11

32- الحسين بن محنض تاريخ موريتانيا الحديث مرجع سابق ص : 184

33- محمد المختار بن السعد الإمارات والنظام الأميري مرجع سبق ذكره ص : 137

34- الطالب أحمد بن اطوير الجنة تاريخ ابن اطوير الجنة تحقيق : سيد أحمد بن أحمد سالم ، مطبعة المعارف الجديدة الرباط 1995م ص : 94

35- الحسين بن محنض تاريخ موريتانيا الحديث مرجع سابق ص : 185

36- فاطمة عبد الكريم . فاطمة عبد الكريم إمارة إدوعيش مرجع سبق ذكره ص : 60

37- محمد المختار بن السعد الإمارات والنظام الأميري مرجع سبق ذكره ص : 137

38- أهل سيدي محمود : كونفدرالية قبلية كبيرة التأمت حول لمرابط سيدي محمود وانضم أبناءه وأحفاده جماعات كثيرة منها ما هو في الأصل من إدوالحاج ومنها ما هو من إدوعيش ، والبعض من جعافرة من أولاد داوود وغيرهم ، وكان اول من انضم إليهم مجموعة من تقدة واسواكر وهذا ما جعل أهل سيدي محمود كونفدرالية وليسوا قبيلة بالمفهوم العرقي ، انظر : بن حامد الجزء الرابع إدوعيش ص : 15

39- فاطمة عبد الكريم إمارة إدوعيش مرجع سبق ذكره ص : 61

40- أبكاك : فصيلة من إدوعيش وأصله نوع من الصمغ الرديء ولفظ كان يطلقه عليهم خصومهم سخرية ، اعتبارا من أن الحرب اضطرتهم إلى أن يأكلوا هذا النوع من الصمغ لونه أحمر .

41- المختار بن حامد التاريخ السياسي مرجع سبق ذكره ص :191

42- الجنكرونية : وتسمى الحصيرة وهي موضع بتكانت بين إدوعيش جميعهم لجهة ، وكنتة وأولا الناصر لجهة .

43- المختار بن حامد التاريخ السياسي مرجع سابق ص : 192

44- فاطمة عبد الكريم إمارة إدوعيش مرجع سابق ص : 13

45- المختار بن حامد التاريخ السياسي مرجع سابق ص : 193

46- الحسين بن محنض تاريخ موريتانيا الحديث ص : 189

47- الشيخ سيديا بابه بن الشيخ سيديا إمارتا إدوعيش ومشظوف مرجع سابق ص : 67

48- المختار بن حامد حياة موريتانيا الجزء الرابع إدوعيش تعليق سيد أحمد بن أحمد سالم ومراجعة الأستاذ محمد ولد الدي منشورات الزمن ـ الرباط ـ مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 2013م ص : 49

49- سيدي محمد الخليفة الكنتي الرسالة الغلاوية مرجع سابق ص : 112

50- الشيخ سيديا بابه بن الشيخ سيديا إمارتا إدوعيش ومشظوف ص : 69

51- فاطمة عبد الكريم إمارتا إدوعيش ومشظوف ص : 61

52- هو لمرابط بن سيد محمود توفي : 1786م الذي جاء إلى المنطقة مهاجرا من وادان وشكل مركزا استقطاب جذب العديد من المجموعات البشرية المختلفة وخاصة بعض عناصر إدوعيش .

53- سيدي محمد الخليفة الكنتي الرسالة الغلاوية مصدر سابق ص:111

54- الشيخ سيديا بابه بن الشيخ سيديا إمارتا إدوعيش ومشظوف مرجع سابق ص : 103

55- سيدي محمد الخليفة الكنتي الرسالة الغلاوية مصدر سبق ذكره ص : 111

56- سيدي محمد الخليفة الكنتي الرسالة الغلاوية مصدر سبق ذكره ص : 111

57- سيدي محمد الخليفة الكنتي الرسالة الغلاوية مصدر سبق ذكره ص : 114

58- فاطمة عبد الكريم إمارة إدوعيش ، مرجع سابق ص : 64

59- فاطمة عبد الكريم ، إمارة إدوعيش ، مرجع سابق ص : 64

60- المختار بن حامد ، الجزء الرابع إدوعيش ، مرجع سبق ذكره ص : 55

61- المختار بن حامد حوادث السنين أربع قرون من تاريخ موريتانيا وجوارها تحقيق سيدي أحمد بن أحمد سالم هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، دار الكتب الوطنية 2001 م ص : 475

62- الشيخ بابه بن الشيخ سيديا إمارتا إدوعيش ومشظوف مرجع سبق ذكره ص : 112

63- الشيخ بابه بن الشيخ سيديا إمارتا إدوعيش ومشظوف مرجع سبق ذكره ص : 112

64- المختار بن حامد حوادث السنين مرجع سبق ذكره ص : 475

65- محمد الأمين الشنقيطي (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مؤسسة منير موريتانيا الطبعة الرابعة 1989 م ص : 486

66- محمد المختار الإمارات والنظام الأميري مرجع سابق ص : 139

67- مشظوف : هي من القبائل الصنهاجية القديمة بالبلاد شكلوا إمارة قوية ولها نفوذها مع بداية القرن 19 م في الحوض وقد استطاعوا على غرار أهل سيدي محمود استقطاب الكثير من القبائل فصارت عبارة عن اتحادية كبيرة .

68- المختار بن حامد حوادث السنين مرجع سبق ذكره ص : 475

69- سيدي بن الزين العلوي كتاب النسب في أخبار الزوايا والعرب ص : 131

70- الشيخ سيد محمد إمارة إدوعيش وأهم الأسس التاريخية للسلطة في موريتانيا .

72- محمد المختار الإمارات والنظام الأميري .

73- محمد المصطفى ولد حامد، أزمة إمارة تكانت في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، مذكرة لنيل شهادة المتريز ، جامعة نواكشوط، 1991/1990 ص :6.

74- محمد المصطفى ولد حامد، مرجع سابق ، ص : 10

75- إطول عمرو ولد محمد محمود، المقاومة العسكرية في مناطق الوسط الموريتاني من خلال عائلة عرفة، مذكرة لنيل شهادة المتريز في التاريخ ، 2008/2007 ، جامعة انوكشوط ، ص: 10.